المحاضرة:10

أنواع المفردات من حيث الاستعمال

ثانيا: الخامِل

1/ تعريف الخامل:

الخامِل لغة هو الخَفِيُّ السَّاقِطُ الَّذِي لَا نَباهة لَهُ. يُقَالُ: هُوَ خَامِل الذِّكْرِ والصوتِ. وَيُقَالُ: خَمَلَ صوتَه إِذا وَضَعَهُ وأَخفاه وَلَمْ يَرْفَعْهُ. والخَمِيلة: المُنْهَبَط الْغَامِضُ مِنَ الرَّمْل.

والخامل في الاصطلاح هي المفردات التي كانت مستعملة في البيئة القديمة، أو في فترة زمنيّة معيّنة، ثمّ أُهْملتْ لعدم الحاجة إليها، بعد أنْ تغيَّرت بيئتها بفعل عوامل مختلفة.

2/ الخامل في المعاجم العربية القديمة:

إذا نظرنا في المعاجم العربية القديمة، مثل: لسان العرب والقاموس المحيط وغيرها، وجدناها جميعا تضمّ الكثير من الألفاظ التي لم تعد مستعملة في اللغة العربية الحديثة، وهي كثيرة، ليست من المهمل، لأنّها كانت مستعملة في بيْئَتها القديمة، ولم تفْقِد هذه الصِّفَة إلاّ بعد أنْ تغيَّرت بيئتها بفعل عوامل مختلفة. لذلك فهي ألفاظ مهملة، لا بصورة مطلقة، بل مهملة بالنسبة للغة الحديثة.

هذه المفردات التي كانت ذات يوم مستعملة، هي التي يمكن تسميتها "الخامل"، لأن فَرَضِيّة عوْدَتها للاشْتِغال مرَّت أخرى وارِدَة، وعليه فلا يُمكِننا أن نطلق عليها مصطلح "المهمل"، لأن المهمل أصْلا لا معنى له، وبالتالي فلا حياة له تمكّنه من أنْ يَبْعَث من جديد. والذين ينْعَتون هذه الألفاظ بالمهمل فإنما ينظرون إليه من زاوية أنّ هذا الصِنْف من المفردات يعتبر مهملا بالنظر إلى المستعمل في عصرنا هذا.

ثالثا: المهمل

1/ تعريف المهمل:

تحمل (همل) لغةً، معاني الترك؛ فقد ورد أنّ الهمل بمعنى المتروك .إبل هملى أي مهملة، وإبل هوامل مسيبة لا راعي لها، وأمْر، مهمل متروك. والهَمَل أَيضاً: الْمَاءُ الَّذِي لَا مَانِعَ لَهُ. وأَهْمَلْت الشَّيْءَ: خلَّيت بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ. والمُهْمَل مِنَ الْكَلَامِ: خِلَافُ المستعمَل.

ويمكن أنْ نقسّم المهمل إلى نوعين، يقول ابن فارس(ت395هـ): "إنّ الكلام عَلَى ضربين مهمَل ومستعمَل... فالمهمل:"هو الَّذِي لَمْ يُوضع للفائدة" والمستعمل: "مَا وُضِع ليُفِيد".

ومنه، فالمهمل عند المعجميين يُقصد به المتروك الذي لم تستعمله العرب في ألفاظها وأَبْنِيَّة كلامها. وسمّي مُهْملا، لأنَّه لا يحمل دلالة، وخالٍ من الفائِدة، ولا يُمْكن التّواصل به، ولذا لم تستخْدِمه العرب في كلامها. والمهمل عكْس المستعمل.

ومنْ ثمّ انقسَمَتْ الكلمات التي يمكن تركيبها، إلى "مسْتَعْمَل" و"مُهْمَل". وقد احتفظت لنا المعاجم القديمة، بـ "المستعمل" وحْده. يقول ابن فارس(ت395هـ):"وأهْل اللغة لَمْ يذكروا المهمل فِي أقسام الكلام وإنّما ذكروه فِي الأبنية المهملة التِي لَمْ تَقُلْ عَلَيْهَا العرب. فقدْ صحّ مَا قلناه من خطأِ من زعم أنّ المهمل كلام".

2/ المهمل عند القدماء:

وردْ مصطلح المهمل عند القدماء، ومن أوّل مَن أشار إليه هو الخليل بن أحمد في كتابه "العين"؛ حيث اهْتَدَى إلى التَّعرَّف على ما هو مهمل من الألفاظ، وما هو مستعمل، من خلال الطريقة التي ابْتَدعَها في جمْع اللغة على أنماط المفردات العربية، "فركَّب الحروف الهِجائيَّة العربية بعضها مع بعض في ألفاظ ثنائية وثلاثيّة ورباعيّة وخماسيّة إلى أن استنْفَد جميع التراكيب المُمكِنة... ثمّ أخَذ في فَحْصِها: فما وجده مستعملا في لغة التخاطب عند الأعراب أو في النصوص كالقرآن والشعر الجاهلي أبقاه، وما لم يجده مستعملا أهمله".

وأشار ابن دريد (ت321هـ) في معجمه (جمهرة اللغة) إلى المفردات والأبنية المهملة، كقوله في (ج ف ق):"مهمل وَكَذَلِكَ حَالهمَا مَعَ الْكَاف". وقوْله في (طغق): "أُهملت وَكَذَلِكَ حَالهمَا مَعَ الْكَاف". ومنْ ثمّ انقسَمَتْ الكلمات التي يمكن تركيبها، إلى "مسْتَعْمَل" و"مُهْمَل". وقد احتفظت لنا المعاجم القديمة، بـ "المستعمل" وحْده. يقول ابن فارس(ت395هـ):"وأهْل اللغة لَمْ يذكروا المهمل فِي أقسام الكلام، وإنّما ذكروه فِي الأبنية المهملة التِي لَمْ تَقُلْ عَلَيْهَا العرب. فقدْ صحّ مَا قلناه من خطأِ من زعم أنّ المهمل كلام".

وقد يَرْجع إهمال هذه الألفاظ المُفترَضة إلى أنّ تركيبَها يُخِلُّ بشُروط الفَصاحَة التي يتوَجَّبُ وُجودُها في اللفظ الفصيح، كالألفاظ الثَّقيلَة على اللسان النّاتج عن تَقارُب مَخارِج الأصوات، أو الخُشونَة، أو أنْ تَكون جارِيَة على غيْر نِظام الحرف العربي مثل الكلمات الأعجمية...

من ذلك، فقدْ أشار ابن دريد (ت321هـ) في معجمه (جمهرة اللغة) إلى المفردات والأبنية المهملة، كقوله في:

(ج ط ط):"أهملت الْجِيم مَعَ الطَّاء والظاء فِي الْوُجُوه الثنائية".

(ج ق ق):"أهملت الْجِيم مَعَ الْقَاف وَالْكَاف فِي وُجُوه الثنائي".

(ظ و و):" أهملت الظَّاء مَعَ الْوَاو وَالْهَاء وَالْيَاء".

(ج ف ق):"مهمل وَكَذَلِكَ حَالهمَا مَعَ الْكَاف".

(ط غ ق): "أُهملت وَكَذَلِكَ حَالهمَا مَعَ الْكَاف".

" وأهْل اللغة لم يذكروا المهمَل في أقسام الكلام وإنّما ذكروه في الأبنية المهمَلة التي لم تقل عليها العرب. وقال ابن جني في الخصائص: أمّا إهمالُ ما أُهْمِل ممّا تحتمله قسمةُ التّركيب في بعض الأصول المتصوّرة أو المستعملة، فأكْثرهُ متروكٌ للاستثقال وبقيّتُه ملحقةٌ به ومقَفَّاة على إثْره. فمن ذلك ما رُفِض استعماله لتَقَارُب حروفه نحو: سص وصص وطت وتط وضش (وشض وهذا حديث واضح)، لنُفور الحسِّ عنه والمشقَّة على النّفس لتكلفه وكذلك (نحو) قج وجق وكق وقك وكج وجك...".

3/ أسباب المُهمل:

أشار أصحاب المعاجم إلى أنّ من أسباب إهمال ما أهْمِل من الكلمات، هو امتناع التأليف لتقارب مخارج الحروف، طول اللفظ. وورد في المزهر،" قال ابن فارس: المهمل على ضربين: ضربٌ لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب البتّة، وذلك كـ(جيم) تؤلف مع (كاف) أو (كاف) تقدم على (جيم) وكـ(عين) مع (غين) أو (حاء) مع (هاء) أو (غين) فهذا وما أشبَهه لا يأْتَلِف. والضَّرْبُ الآخر: ما يجوزُ تألف حروفه، لكنَّ العرب لم تقلْ عليه، وذلك كإرادة مُرِيد أنْ يقول: (عضخ)، فهذا يجوز تألفه وليس بالنّافر ألا تراهم قد قالوا في الأحرف الثلاثة: (خضع) لكن العرب لم تقل (عضخ) فهذان ضربان للمهمل. وله ضربٌ ثالث وهو أنْ يريد مريدٌ أن يتكلم بكلمةٍ على خمسة أحرف ليس فيها من حروف الذُّلْق أو الإطباق حرف وأي هذه الثلاثة كان فإنه لا يجوز أن يسمى كلاما. وأهل اللغة لم يذكروا المهمَل في أقسام الكلام وإنما ذكروه في الأبنية المهمَلة التي لم تقل عليها العرب".

وهناك بعض الألفاظ عُدّتْ مهملة عند الخليل في العين، وُجدت مستعملة في معاجم أخرى مثل: المحيط في اللغة، الجمهرة، لسان العرب، مختصر العين للزبيدي، المحيط.

" وقد يلتقي مصطلح المهمل في دلالته مع مصطلح الممات ، الذي يدلّ على فناء اللفظ وتلاشيه من الاستعمال اللغوي، ولا يُقصد بالمهمل هنا ما أُهمل في الاستعمال أصلا لثقله وعدم تآلف حروفه في العربية، وتُرك للاستثقال، ولا يُقصد به أيضا ما أُهمل من التقليبات الصوتية، بل يُقصد بالمهمل هنا ما كان مستعملا من الألفاظ ولكن أُهْمِل استعماله، وتلاشى من الأداء لسبب ما؛ وبسبب إهماله من الاستعمال عُدّ من المُمات من الألفاظ، فالتّوافق بين المُمات والمهمل توافق في المعنى اللغوي، وليس في المعنى الاصطلاحي.

ومنه تظهر لنا المصطلحات الآتية:

- **المستعمل:** هو ما يستعمله متكلّمو اللغة ويتداولونه من المفردات.
- **الخامل:** هو ما اُستعمل في فترة زمنيّة ما، ثمّ لم يعد مستعملا، بعد أنْ تغيَّرت بيئته، لأنّ المستعمل قديما، أصبح مهملا اليوم لعدم مناسبته للعصر. لذلك قد يلتقي مصطلح الخامل في دلالته مع مصطلح الممات.
- **المهمل:** هو ما لم يُستعمل أصلا، لانعدام معناه أصلا وفائدته.